روايـــة الانـتـفـاضـة

د. مصطفى عبد الغني

على العكس من الشعر والقصة القصيرة، تبدو الرواية اكثر الانواع الادبية تعبيراً عن الانتفاضة الفلسطينية، سواء في التمهيد لها أو رصد ارهاصاتها حتى تحويلها الى واقع فعلي يعيش فيه المواطن العربي عبر تحدّي السفه الاسرائيلي اليومي في الارض المحتلة.

وبادىء ذي بدء، فاننا لا نستطيع الاشارة الى ارهاصات الانتفاضة، أو ممارساتها، عبر التعبير الروائي، دون ان نتمهل عند ملاحظتين هامتين:

الاولى، انه من الصعب بمكان ان نشير الى الانتفاضة دون ان نستبدل بها لفظة «الثورة». فعلى الرغم من حرص الفلسطيني، داخل الارض المحتلة وخارجها، على تسمية حركته الفاعلة في الارض المحتلة باسم «انتفاضة»[١]، فان مقدّماتها واستمرارها تدفع بنا دفعاً الى ان نستبدل «الانتفاضـة» بـ «الثورة»، وخاصة ان حرب الخليج، وما تبعها من مضاعفات سلبية، اقتصادية واجتماعية، على المواطن داخل الارض المحتلة، لم تستطع ان تدفع الانسان الفلسطيني الى التراجع.

ولنذكر ان وعي الانسان العربي في الارض المحتلة، في ذلك الوقت العصيب، بلغ اقصاه، في عديد من المواقف، مثل مجزرة «الاثنين الدامي» في الثامن من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٠، وما تمخّض عنهـا من استبـدال الوسائل القديمة بوسائل أخرى، فتحوّلت الحجارة الى خناجر كرد فعل ضد السلاح الاسرائيلي[٢].

والملاحظة الاخرى تحمل من التفجع أكثر ممّا تحمل على التأمل، ذلك ان الرواية العربية على مدى نصف قرن سبق نكبة ١٩٤٨ لم تستطع ان تعبّر عن العقل «الجمعي» فيما يواجهه من تحوّلات واستيطانات مسمومة في فلسطين.

وهي ملاحـظة يجب الاستـطراد فيها أكثر. فمراجعة الروايات التي أصدرت في هذه الحقبة الاخيرة[٣] تظهر انه في حين أُصدر في سوريا بين العامين ١٩٥٨ و١٩٦٨ ما يقرب من ٤٨ رواية، فاننا لم نعثر بينها على رواية واحدة تخصّص لفلسطين. وفي حين ظهرت بين العامين ١٩٦٨ و١٩٧٨ ما يقرب من ٧٤ رواية، لم نعثر بينها، أيضاً، على معالجة مباشرة لقضية فلسطين، أو المأساة التي خلقتها الصهيونية. وما يقال عن سوريا يقال عن عديد من الاقطار العربية الأخرى، كمصر والجزائر والمغرب والكويت والبحرين، وهي الاقطار التي عرفت الرواية العربية في نشأتها الاولى أكثر من غيرها؛ كما نالت حظاً من التقدم والتعرّف على منجزات الغرب الفكرية والابداعية قبل غيرها[٤].

النص الناقص

وفي هذا السيـاق، نرى ان بعض النصـوص التي تعرّضت لفلسطين، وهي نادرة، ونشرت في